جامعـــة القاهـــرة
قسم الهندسة المعمارية
المؤتمر العلمى الاول
العمارة والعمران في إطار التنمية المستدامة
القاهرة ٢٦-٢٨فبراير٢٠٠٤م

ورقة بحثية بعنوان:

"الاعتبارات الانسانية مؤشر تصميمى لدعم استدامة المسكن.. دراسة في خصائص المردود البيئى للصياغة التشكيلية "**

مقدمة من :
ا.م.د : محمد ابراهيم جبرابراهيم*

ملخص الورقة البحثية :

قال الله عزوجل : " **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين** ".. صدق الله العظيم .. النحل الاية (٨٠) .

الآية الكريمة تشيرالى المستهدف من موضع المبيت والاقامة وهو تحقيق السكن والاستيفاء المرن لمقتضى تلك الاقامة .. وترتبط كلمة "**سكن**" لغويا بعديد من الدلائل .. السكينة . الهدوء . الاسترخاء .. وغيرها من معانى ؛ تؤكد اهمية استيفاء المتطلبات الحسية والادراكية للانسان حال التناول التصميمى للمسكن وظيفيا وتعبيريا ، وللخصائص التعبيرية دلالاتها الحضرية ؛ لكون المسكن احد ابرزعناصر بناء الهيكل الفيزيقي لاى فراغ حضرى ، ذلك الذى يتشكل من النسيج العمرانى- لمختلف العناصر الوظيفية - فى بعديه ثنائى وثلاثى الأبعاد ، الى جانب المعالجات التكميلية لعناصر تنسيق الموقع طبيعية و تشكيلية صناعية .

وإغفال المتطلبات الحسية والادراكية للانسان حال التناول التصميمى لعمارة المسكن ينعكس على البيئة الحضرية المحيطة بعديد من السلبيات .. اكثرها وضوحا يتعلق باوجه التغير المحتملة لاطاره التشكيلى الخارجى ؛ نتيجة عدم استيفاء التشريعيات البنائية لمتطلبات المستخدم الحسية والادراكية ، المتعلقة بجوانب الصياغة التعبيرية لذلك الاطار ؛ خاصة اذا اقترن ذلك بقصور مواز فى استقراء المتغيرات الفكرية الثقافية وكذا الاجتماعية ؛ التى تمليها فرضيات الواقع الزمنى المكانى نطاق تواجد المسكن .. ولان العمارة دالة الثقافة .. اداة التعبير.. فطبعى ان تستقبل الصيغ البنائية لعناصر المسكن اصداء وتوابع تلك المتغيرات .. لتؤثر فى خصائص الاداء الوظيفى داخليا ، ونمط الصياغة التعبيرية خارجيا .. فاذا اقترن ذلك بقصور فى التشريعات والقوانين الملزمة ؛ فالنتيجة التلقائية .. تباين فى صيغ التعبير.. تناقض فى اساليب المعالجات .. خلاف في خيارات الالوان .. تاكيد لرؤى ذاتية مقابل ماتمليه تلك العامة .. ليستتبع ذلك مجملا خلل في خصائص النسيج البصرى والتشكيلى لمنظومة العمران على اختلاف عناصر بنائها الوظيفية .. يترتب عليها تراجع فى ثقل القيم المعيارية ، يدفع بالانسان – قاطن البيئة الحضرية – تجاه نوع من اللامبالاه،فالاغتراب ،فالعزلة، فالتقوقع، ..، الغيرذلك من تبعات تعد بداية لتغيبة بواعث الانتماء وتلاشى لقيم الهوية .

والعلاقة بين الدلائل التشكيلية والتعبيرية لمحتوى البيئة - والمسكن احد عناصرها - وبين منظومة القيم الاجتماعية والثقافية بها علاقة تبادلية التأثر والتأثير ، باعتبار أن التلاقي بين تلك الدلائل والمستهدفات الثقافية تعد ضمانا لاستدامة البناء التراكمي لمجمل عناصر البيئة الحضرية بشقيها : العمراني الفيزيقي والتشكيلي التكميلي، كما أن القصور في جوانب البناء التعبيري لتلك العناصر يعد أحد بواعث الخلل في " منظومة القيم " بجوانبها الثلاث المشار إليها ، بإعتبار القيم تمثل مجموعة الأفكار المشتركة التي تدور حول ما هو مرغوب فيه لدى جماعة بعينها وجدانياً ، بحكم تمثلهم إياها ، كنتيجة للتنشئة الاجتماعية ، التي تسهم في تنظيم السلوك ، وتعديله ، وتوجيهه ، وتحديد مضامينه ، وللقيم ايضا أن توجه السلوك ، وتعتبر معايير وأهداف ، وتتضح فى السلوك الظاهر للأفراد مدرك اوغير.

والمسكن كأحد عناصر البيئة الفيزيقية دالة لثقافة قاطنيه ، غير أن تلك الثقافة متغيرة ، وتنبثق عنها عديد من ردود الأفعال المؤيدة أو الرافضة ، إزاء ما تكفله خصائص بناء ذلك المسكن من استيفاء " لاعتبارات إنسانية " تعبر عن ثقافة قاطنيه ، باعتبار أن تلك الاعتبارات " نتاج " لتشكل ثقافة الفرد والمجموع ، و" الأساس " للتلاقي " الوظيفي التشكيلي " لعمارة المسكن مع مستهدفات قاطنيه ، والباعث " لاستدامة " صيغ " التعبير " المطروحة ؛ بمردودها الايجابي على البناء التشكيلي والتكميلي لعناصر البيئة المحيطة مجملة ،.. لذا تعرض هذه الورقة البحثية من خلال منهج تحليلى استقرائى لدور الاعتبارات الإنسانية في دعم استدامة المسكن المكانية البيئية .

الكلمات الأساسية :

" المسكن .. الاعتبارات الإنسانية ..الاستدامة .. المردود البيئي ..الصياغة التشكيلية " .

** ورقة بحثيـــة ضمن فاعلـيات المحور الاول المعنـــون : " **التنمية المعمارية والعمرانية والاستدامة** "

* استاذ مساعد بقسم الهندسة المعمارية . كلية الهندسة جامعة عين شمس . مصر . بريد الكترونى: migabr@link.net

Cairo University

Architecture Engineering Department

The first Scientific Conference

Architectonics and Physical Structure in the Frame of the Continuous Development

26th / 28th of February 2004

Cairo . Egypt

A research paper entitled:

The human considerations are designing reference for supporting the continuation of the residence … a study in the characteristics of the environmental outcomes of formation formula

The research abstract:

Allah said : It is Allah Who made your habitations homes of rest and quiet for you; and made for you, out of the skins of animals, (tents for) dwellings, which ye find so light (and handy) when ye travel and when ye stop (in your travels); and out of their wool, and their soft fibers (between wool and hair), and their hair, rich stuff and articles of convenience (to serve you) for a time(AL-NAHL ,80).

The holy verse refers to the aim of the place of lodging and inhabitation, which is the existence of a residence and the flexible fulfilling of the requirements of that inhabitation. The word "residence" relates linguistically to many residential meanings such as "quietness", "relaxation ", and other meanings that assure the importance of fulfilling the sensory and the cognitive requirements of the human being, concerning the designing tackling of a residence functionally and expressively. Also the expressive characteristics have its specific significances for the residence is one of the prominent elements of the physical structure of any urban space that constitutes from the constructive textile of the different functional elements in its binary and triple dimensions beside the supplementary tackling of the natural , formational and industrial elements of the location coordination .

The leaving out of the sensory and cognitive requirements of the human being, concerning the designing tackling of a residence's construction reflects on the urban environment surrounded by many negatives. The most obvious of which is related to the possible aspects of change to its external formation frame; as a result of not fulfilling the constructive legislations of the sensory and the cognitive requirements of the user that is related to the different aspects of expressive formula of that frame. In particular, if that is coupled with a parallel retrenching in the induction of social, cultural and intellectual changes which is imposed by the hypotheses of the place and the time related to the existence of the residence… As architectonics is the mark of culture and the tool of expression so it is the case to receive the constructive formulas of residence elements, the echoes and the consequences of that changes to effect in the characteristics of the functional

performance internally and in the pattern of the formula externally. So if that connected to nonfeasance (retrenches) in the legislations and laws, then the result will be difference in expression formula, discrepancy in the tackling methods, struggle in colors choices and assurance of self visions in the face of what is imposed by the commonalty. These are followed by a defect in the visual and formational textile of the different functional constructive elements of the construction system. Which results in deterioration in the weight of the measuring values pushes the human being- who lives in the urban environment-towards a kind of indifference, then alienation, then isolation , and then isolationism and other consequences considered a beginning of the absence of affiliation's resources and demolishing of identification values .

The relationship between the expressive and formational signs of the content of the environment- where the residence is one of its elements-, and the cultural and social values system has an exchangeable relation in its influence and effect. Concerning that the connection between these significances and cultural aims is considered a guarantee for the continuation of accumulated construction for all the elements of the urban environment with its two dimensions: the physical architectural and the supplementary formational. Also the retrenches in the sides of the expressive construction of those elements is considered one of the sources of defect in "the values system" in its three sides referred to. Moreover, considering the values as representing a set of common thoughts that display what is desirable in by a specific group of people because of their social upbringing, which takes part in organizing, amending and directing the behavior and determining its contents. Also values should direct the behavior and it should be considered as measures and aims and it should be obvious in the apparent behavior of persons even if it is cognitive or not .

The residence as one of the physical environment is a mark of the culture of its residents. But that culture is changeable ,resulting in a number of supportive and refusing reactions, concerning fulfilling the human considerations which the characteristics of the construction guarantee and that express residences' culture, considering these considerations as " the outcome "of constituting the culture of the individual and the group and "the base" for the functional and formational connection of the residence architectonics with the aims of its residents and the motive of the continuation of the proposed "expressive" " formulas " with its positive outcomes on the supplementary and formational construction of the surrounding environment .

As a result, this research paper displays the role of the human considerations in supporting an environmental and spatial continuation of the residence through inductive analytical method

Key words:

Residence ….. Human consideration…..Continuation ….. Environmental outcome……..formation formula.

أهداف الورقة البحثية :

تهدف الورقة البحثية إلى :

- تحديد العوامل المؤثرة على العلاقة التبادلية بين اسـتدامة المسكن والمـردود البيئي لصياغته التعبيرية .
- تقرير أهمية الاعتبارات الإنسانية كمحدد تصميمي لجوانب الصياغة التعبيرية والوظيفية لعمـارة المسكن .
- تحديد الاعتبارات الإنسـانية الواجب مراعـاتها في جوانب الصياغة التعبيرية لعمـارة المسـكن .
- تقرير دور الاعتبارات الإنسانية في دعم استدامة المسكن لقاء تفاعله مع البيئة والحد من تأثيره السلبي عليها .

المنهج العلـــمي :

.. تعرض الورقة البحثية للدراسـة المستهدفة في سياق منهج استقرائي استنتاجي تحليـلي ..

المشـــكلة البحثية :

تعددت المتغيرات الحضارية والفكرية وتتابعت تحدياتها سراعا مع بداية النصف الثاني من القرن الماضي ، .. متضمنة تحولات مفاجئة زادت من نشاط " الحراك الإجتماعى " لدى مختلف الشرائح الثقافية بعديد من عواصم الدول النامية ، خاصة في ظل ما طرح إزاء تلك التحولات من سياسات استهلاكية ؛ وما استتبعها من تحولات اقتصادية تركت أثرها الكبير على سلوكيات الفرد والجماعة .. ، وفى اتجاه تأكيد ذات المعاني يؤكد رجز "Riggs" أن انتشـار الانحرافات السلوكية وما ترتب عليها من فساد ـ بتلك الدول ـ يعود إلى معاناة التنظيمات الاجتماعية من مخاض التحول من حالة " الاندماج " و" التجانس " إلى حالة " الإنعطاف " و" التحول " ، وما استتبع ذلك من " انقطاع " في مراحل التطور والإجتماعى ؛ نتيجة التباين والتنوع الإقتصادى بآلياته المتعددة ، والتي أسهمت في إعادة صياغة الأسـواق وتوزيع الثروات بتلك المجتمعات ، ويعزى ذلك " الإنقطاع " وعدم الإستقرار إلى سرعة عمليات التطور ، وعدم إستيعاب الهياكل البنائية لتلك المجتمعات لردود أفعالها ، الأمر الذي إنعكس بكثير من السلب على " منظومة القيم " و" دوافع الإنتماء " لدى عديد من الشرائح الإجتماعية بها ، ومعلوم أن " منظومة القيم الإجتماعية " تمثل أبرز عوامل الضبط الإجتماعى ـ غير الرسمية ـ للبيئة الحضرية بشقيها المعماري والتكميلي ، بإعتبارها ـ القيم ـ موجه لسلوك الأعضاء تجاه ما هو " مرغوب فيه و" يفضل ثقافيا " ، وترتبط تلك القيم بثلاث جوانب أساسية :

" جانب فكـرى " .. ويتضـمن الجوانـب الفكريـة المتعلقـة بالقضـايا العامـة والاطروحـات الفكريـة التـي تشكل هويـة المجتمع وتوجهاته إزاء قضاياه .

" جانب وجداني " .. ويتضمن مجموعة الجوانب الحسية الموجهة لسلوك الإنسان إزاء تعايشه مع قضايا البيئة والمجتمع من حوله .

" جانب تـوجيهي " .. أو تنظيمـي .. ويتضـمن مجموعـة الأطـر التنظيميـة التـى تكفل للمجتمـع تحقيـق مستهدفاته وطموحاته لقاء منظومة التطور ؛ فى ظل ما تسمح به الجوانب الفكرية والحسية لأعضائه .

شكل رقم (١) عندما يتوافر للإنسان الثقافة وللمجتمع التحضر تكون المدينة في بهائها وترابطها.

وفاعلية الإنسان لقاء مقتضيات بناء الإطار الإجتماعى والبيئي المحيط تعد الأساس في صياغة محتواه الثقافي والمحدد لردود أفعاله الحسية تجاه ضوابط البني الإجتماعية وتلك العمرانية ، والثابت أنه كلما ضمن المجتمع نوع من الوفرة ـ تجاه استيفاء مردود المتغيرات الفكرية والثقافية لقاطنيه ـ توافرت إمكانية التثقيف والتحضر ، ويجسد ذلك ـ مجملا ـ المدينة وعمرانها .. مرآة ثقافة الفرد والجماعة وعلاقاتهم الإجتماعية والاقتصادية ، ذلك أن الإنسان هو صانع المدينة ، والمجتمع هو صانع الإنسان ، فعندما يتوافر للإنسان الثقافة وللمجتمع التحضر تكون المدينة في بهائها وترابطها ، وكلما كان الإنسان سوى السلوك محدد الملامح واضح الشخصية كان المجتمع راسخ القيم ، وكانت المدينة متسقة المظهر ، متسعة التكوين ، حاضرة الشخصية ، وعندما يتوارى الإبداع الثقافي تتغيب القدرة على التجديد ؛ لتبدأ حلقة التدهور الحضاري .. يتغيب للإنسان مسعاه ، ويفقد المجتمع دعائمه وروابطه ، وتصبح المدينة بلا هوية .. هوية الذات المفقودة .

وطبعي أن ذلك " مدعاة " لنضوب بواعث الابتكار لدى شرائح المجتمع الثقافية وموجهيه ، و" دافع " لاختلاط الحوار ، فتعلو الاصوات ، وتعدد المذاهب ، وفي دوامة الحيرة يتثبت الناس ويتعصبون ؛ لكل جماعة توجهاتها الفكرية ، لينتفي ـ آنذاك ـ التآلف الإجتماعى والتفاعل ، ولتحل العشوائية في الفكر والتصرفات ، وليستشرى مردودها على العمران ، لتعد المدن بلا ملامح .. وتلك " بداية " إشكالية يمكن استقرائها في " المنتج المعماري " المعاصر ؛ .. تجسدها تلك الفجوة بين

رؤية المعمارى للعمل واستيعاب المستخدم لمعانيه .. فالمعماري يتعامل مع البيئة المعمارية "عناصر وفراغات " من منظور مرئي ، في حين أن المستخدم يتفاعل معها فى سياق " معرفي " .. ذلك أن المعاني الرمزية " قديما " كانت مشتركة بين كل افراد المجتمع " Socially Shared " ؛ حيث كان نظام " القيم " و" الأعراف " واضح المعالم ، يعززه إجماع اجتماعي على ما تعبر عنه تلك الرموز ، .. أما الدلائل الفردية للمعاني " Idiosyncratic " فقد كانت ذات خفوت نسبى ، بالتالى كانت عناصر العمل المعماري غالبا ماتعبر عن نفس المعنى وتوحى بالدلائل السلوكية نتاج معارف البيئة الاجتماعية ؛ .. الامر الذى احدث نوع من " التوافق " بين " رؤى " المعماري وما يقصده من " معانى " وبين ما يعيه المستخدم لقاء تلك المعانى ؛ إزاء الاتفاق على نظام القيم " دالة القياس الرمزي " بين جميع افراد المجتمع الواحد .. اما الان وخاصة فى حقبة " ما بعد الحداثة " وإزاء عديد من المتغيرات الفكرية والثقافية فقد حدث نوع من التنامى للرموز " الفردية " مقابل تلك " المشتركة " ، استتبعها زيادة في كم التحديات التي تجابه المعماري حال تعامله مع دلائل " المعني " و" الرمز" في العمارة ، وهذا مايبرر تركيز المعمارى على المستوى المرئى من المعانى ؛ إزاء ما يواجهه من صعوبات فى التوصل الى ارضية مشتركة للاطار المعرفى وبالتالى التفاعلى لقاء معطيات الواقع الثقافي المعاصر .. وما يبرر أيضا عديد من صور التباين في ردود الأفعال لقاء معطيات البيئة الحضرية ـ بشقيها العمراني الفيزيقي والتشكيلي التكميلي ـ إزاء الازدواجية الحادثة بين رؤى المعماري الفكرية والاعتبارات الفعلية لاحتياجات قاطنيها .

مفـــــاهيم ودلالات :

" **هوية** " الإنسان تتألف من مركب المقومات الفكرية التي يسخرها تجاه الوفاء بمتطلبات جسمه ، في تفاعلها وتكاملها مع متطلبات البيئة الاجتماعية والطبيعية من حوله ، فلا بد للإنسان أن يحدد موقفا نحو مختلف مقومات المعيش اليومي ويشبعها ؛ .. أن يعي من هو ؟ ، وماذا يأكل ؟ ، وكيف يحمى نفسه من عوامل الطبيعة ؟ ، وكذا ماهية مصيره .. ككيان واع بوجوديته ؟ ، .. أي الوعي بهذا الوجود ، والإنسان إضافة إلى فرديته إجتماعى بحكم نوعية الوجود الذي يجد نفسه فيه ، وللسبب ذاته يكون مركب هويته مرتبطا بمتطلبات الترابط الإجتماعى الذي يعيشه ويحسه ويتعامل معه ما دام حيا ، ويكون متكيفا بهذا الترابط ، ومكيفا له ،.. إن غاب هذا الترابط يفقد الفرد قدرته على التعامل مع البيئتين الاجتماعية والطبيعية ، بل يفقد دوافع الوجود ، كما يفقد دوافع التفرد في هذا الوجود أصلا ،" فالتفرد " و" الترابط " الإجتماعى إذن يؤلفان حالتين مركبتين من الوجود ؛ متناقضتين ومتداخلتين جدليا ، ولذا متكاملتين ، ويستلزم ذلك " التكامل " أتصاف الإطار والحيز المكاني لأنشطة وممارسات الإنسان والجماعة بقدر من "**التكامل الوظيفي** " و" **التوازن التشكيلي**" ، " الأول " كباعث لتلاقى إجتماعى ؛ ذا مردود حسي تفاعلي ، و" الثاني " كمطلب لاستعداد الإنسان الادراكى ، وكليهما يجسدا ما يعرف بـ " **الاعتبارات الإنسانية** " ، الأساس في " **استدامة** " كافة صيغ العمران ، إزاء ما تكفله تلك الاعتبارات من نتاج تعبيري اقرب إلى " تجسيد " رؤى المستخدم والمتابع الناقد ، .. يخلص إلى صيغ تشكيلية ذات مردود ايجابي ؛ إذا ما توافرت له مرونة استيفاء متغيرات واقعه الثقافي الإجتماعى والبيئي التقني " عد " خطوة تجاه الصورة " المثلى " لعمران المدينة على اختلاف صيغه الوظيفية .

والتناول التحليلي لجدوى " **الاعتبارات الإنسانية** " كأساس تصميمي لدعم " **استدامة المسكن** " ،.. ودور ذلك في تحديد خصائص " **المردود البيئي**" لصياغته التشكيلية يتطلب ـ بداية ـ الإفراد للعلاقات بين المعاني المرتبطة بتلك المفاهيم .. وكلمة " **سكن** ": من سكن المتحرك سكنا و سكونا ؛ أي وقفت حركته ، و" سكنت " النفس بعد الاضطراب : هدأت واستكانت ، " فالسكينة " الطمأنينة .. الهدوء .. الاسترخاء .. ، و" **السكن** " : المسكن ، وهو كل ما استكانت إليه واستأنست به النفس .. وأما مفهوم " **الاستدامة** " : فمن " دام " الشئ " دواما " و" دوما " : أى " ثبت " و" استمر" ، من ": الدوام " الاستمرار والبقاء ، ومنها " داوم " عليه : اى واظب ، و " استدام " الشئ : دام .. والتقاء المفهومين " **المسكن والاستدامة** " .. يستهدف استيفاءه لمقومات استدامته وبقائه ملائما لاحتياجات قاطنيه ، بمعنى الملائمة المرنة لفرضيات المكان البيئية والطبيعية ومتغيرات العامل الزمني الثقافية والاجتماعية .. و" **الإنسانية** ".. من " انس " به واليه ،.. أى سكن إليه وذهبت وحشته ، أو انها من النسيان .. ، وهى جملة الصفات التي تميز الإنسان ضمن سائر البشر خلافا لكافة المخلوقات ، و" **الاعتبارات** " .. القيم : من " قام " ، و" أقام " ، والمعنى " ضمني " ، عد دالة " **للبناء القيمى** " في حياة الإنسان ؛ ويعنى بواعث " **الاستدلال** " في مجمل التراكمات الحضارية لكل ممدوح ومتفق عليه ، .. والتقاء " **الاعتبارات بالإنسانية** " يدفع بالأولى ـ تحديدا ـ إلى نوع من التخصيص لتلك الاعتبارات تجاه الجوانب " **الحسية** " و" **الادراكية** " في حياة الإنسان .

والعلاقة بين " **الاعتبارات الإنسانية كباعث لاستدامة المسكن** " و" **المردود البيئي لصياغته التشكيلية** " تنسحب على كون تلك الاستدامة أساس للتلاقي المرن بين خصائص الصياغة التشكيلية للمسكن ومقتضى معطيات البيئة الحضرية من حوله ، باعتبار أن الخلل في استيفاء الجوانب التشكيلية ـ عما يتفق واحتياجات الإنسان الحسية والادراكية ـ دافع لتغيير تلك الجوانب؛ من خلال مستخدم رؤاه قاصرة على احتياجاته دون إدراك كامل لأسس البناء الحضري من حوله.

٢- الاعتبارات والقيم .. المعنى والمردود :

و"**الاعتبارات** " بصورة مجردة ـ وكما أشير ـ هي : " **قيم** " أومعنويات غير مدركة مرئيا ، يمكن تتبعها ـ بعيدا عن المنظور النفعى الذاتى لها ـ في شتى جوانب المباحث وثيقة الصلة بالاطار الفكرى والحضارى المميز لملامح المجتمعات ككل ، .. وتعد " القيم " في مجملها دالة " **لثقافة الجماعة** " ، وضمن تراثها العام .. الخاص والشعبى ، نجدها فى عاداته وتقاليده وثقل موروثاته ،.. يعبر عنها " **بالرموز**" ، وترى انعكاساتها المادية كمردود مرئى شاخصا فى عناصرالعمران ،.. يمكن تتبعه ورصده عبر مختلف العصور التاريخية فى خصائص الرصيد البنائى المتراكم لتتابع الاجيال ،.. و" **دلالات** " القيم في عمران المدينة التقليدية كانت قد ظهرت بوضوح اتصالا واستمرارا ؛ نقيضا لانقطاع تأثيراتها و" **تداعيها** " في بناء المدينة المعاصرة ، إزاء غياب الوعي " **القيمى** " لمركب مكونات المجتمع .. افراده وجماعاته من جهة ، أو لقصر الاستفادة من مقومات القيمة على كل ماهو قديم وتراثى من جهة أخرى (أبو سعده ١٩٩٥) .. و" **القيم** " في ذلك .. كل تأثير سلبي أو ايجابي على جوانب الإنسان الحياتية ؛ .. فكره ، وسلوكه ، ووجدانه ، .. وهى وفى رؤاها " التجريدية " تحديدا تعد " الأساس " لتشكل وجدان الإنسان ، و" الباعث " لفرض سلوكه الواعي والمدرك ، ويظل المحرك لها دوما ذلك " التراكم المستمر" لفرضيات الحراك الفكري والحضاري ،.. تمثلهما " **الثقافة** " و" **التراث والإرث الشعبي** " ؛ ويجسدها مجمله " **الطابع** " و" **الرموز**" ،.. وقبل ذلك ـ مجملا ـ كان لتعاليم الأديان ـ وفقا لتتابع الرسالات السماوية ـ دورا موضوعيا وحاسما في التلميح لرواسم ملامح الاستفادة من " القيم " كمحرك أساسي ؛ تتحدد إزاءه أسس التعامل مع فرضيات الواقع المحيط ،.. ومنها جوانب العمران ،..ويؤكد ذلك أن غياب بعض " المردودات القيمية " في عمران المدينة المعاصرة كانت قد أملته ـ أو أفرزته ـ عديد من عوامل الخلل في إتباع بواعث " **البناء القيمى**" ؛ إما " تجاهلا " اختياريا ، أو نتيجة " **لغياب الوعي** " بماهيتها ، وأهميتها .

شكل رقم (٢) " هوية " الإنسان تتألف من مركب المقومات الفكرية التي يسخرها تجاه الوفاء بمتطلبات المعيش في تفاعلها وتكاملها مع معطليات البيئة الطبيعية والفيزيقية من حوله.

٣- الاعتبارات الإنسانية مؤشر تصميمى لاستدامة المسكن :

يعنى باتخاذ الاعتبارات الإنسانية " **مؤشرا تصميميا** " لاستدامة المسكن " **تحديد** " دور تلك الاعتبارات فى الدفع بالصياغة التصميمية لعمارة المسكن ـ بشقيها " **الوظيفي النفعي** " و" **التشكيلي التعبيري** " ـ تجاه ما يكفل استيفائها للجوانب الادراكية والحسية للإنسان ، إزاء الدور الذي تلعبه " **الملائمة الوظيفية** " في تعزيز المردود الحسي لايجابيات استخدام الفراغ المعماري ، وباعتبار أن " **وظيفة** " العمل المعماري و" **الاعتبارات التشكيلية** " كل لا يتجزأ ، .. أهدافه المجملة تخلص إلى : " الراحة " في التعامل مع ـ أو استخدام ـ عناصر ذلك الفراغ ، وبصفة أساسية فان دور " الاعتبارات الإنسانية " في توجيه الصياغة التصميمية ـ للجوانب الوظيفية والتعبيرية ـ لعمارة المسكن يتعلق بشقين :

أ – شق نفعي وظيفي .

ب – شق حسي تعبيري .

أ ـ شق نفعي " وظيفي ".. يؤمن للإنسان بقائه وإستمراريته .. ويرتبط بمضمون الشق الوظيفي لصياغة الفراغ المعماري ؛ ومدى استيفائه وملاءمته لمختلف الأنشطة الحيوية على تنوعها الوظيفي .. أنشطة السكن والترفية والتعلم والإدارة .. إلى غير ذلك ،..واوجه الملائمة تلك تتعلق بـ :

١. التكامل الوظيفي المكاني لمجمل عناصر العمل المعماري .. ويعنى بها استيفاء العلاقات الوظيفية بين العناصر الأساسية وتلك الثانوية وغيرها المخصصة للخدمة .
٢. الملائمة الفراغية ـ ثنائية وثلاثية الأبعاد ـ لمتطلبات الوظائف المستهدفة ؛ باعتبار أن استيفاء الفراغ للوظائف المقترحة له ينعكس إيجابا على " المردود النفسي " لمستخدمه .
٣. ملائمة صياغة العناصر التشكيلية للمعطيات المناخية " حركة الشمس ، واتجاه الرياح ، ونسب الإشعاع الشمسي ، .. ، الى غير ذلك .
٤. ملائمة صياغة عناصر التشكيل للمعطيات البيئية.. الطبيعية المتعلقة بمقومات الموقع المكانية من طبوغرافية الأرض ، ونطاق رؤية ، و..، و تلك المكانية المتعلقة بعلاقات بشبكات طرق ، ووظائف العناصر المعمارية المحيطة.. إلى غير ذلك .
٥. ملائمة الصياغة الوظيفية لمختلف العناصر لثقافة المستخدم من جانب ، وفرضيات الواقع الثقافي من جانب أخر.

ب ـ شق حسي " تعبيري ".. ويرتبط باستيفاء الاعتبارات الإنسانية الحسية والادراكية المتعلقة " بكنه " الصياغة التعبيرية للعمل المعماري من جانب ، والمردود الحسي لطبيعة أداء الوظائف من جانب أخر(جادرجى العمارة والتنظير ص١٢-١٤) ، وتلك يمكن تمييزها إلى :

١. متطلبات رمزية " تشكيلية ".. تحدد هويته ، وتؤكد ذاته .. تدل عليها ، وتدعمها ، وتنظمها .. وتثرى وعيه بحاضره .. وتجسدها الطرز ، والدلالات الرمزية للموروثات ، وردود الأفعال التأثيرية لعناصر ومفردات تشكيل العمل المعماري على اختلاف صوره الوظيفية .
٢. متطلبات إستاطيقية "حسية ".. وتستهدف تخفيف حدة الملل المترتب على التعامل المتكرر مع شكليات الإطار المحيط ، وتؤمن للفرد فرصة توظيف تلك الشكليات كأداة للاستمتاع ؛ وترتبط بالدلالات الرمزية للقياسات التشكيلية " مقومات التكوين البصري ".. وتجسدها : الوحدة ، والنسب ، والإيقاع ، والتماثل ، والتوازن والتغاير، والتباين ،.. ، وغيرها من معايير تهدف إلى تسهيل لغة التعبير.

واستيفاء عمارة المسكن لمتطلباتها النفعية وتلك التعبيرية ـ ولكليهما يعزى " **المردود البيئي** " لخصائص الصياغة التشكيلية ـ يكفل لنتاجها " **الاستدامة** " ، ويحول دون تغيير يتنافى مع مستهدفات الصياغة البيئية المحيطة ، ذلك أن التقاء الجانبين النفعي والادراكى الحسي يحدد هوية العمل المعماري ؛ في سياق إدراك المعماري لموقع ذلك العمل من معطيات البيئة نطاق صياغته ، وموقعه ـ المعماري ـ من الأخر ؛ في سياق ما يتبناه من قضايا فكرية تستوجب التلاقي .

شكل رقم (٣) تنوع القيم التشكيلية احد أسس استيفاء المتطلبات الحسية والادراكية للإنسان .

٤- الاعتبارات الإنسانية .. وخصائص المردود البيئى :

بين استيفاء الاعتبارات الإنسانية " **كمؤشر تصميمي** " يستهدف " **استدامة** " عمارة المسكن وكنه المردود البيئي المترتب على الصياغة التشكيلية لمفرداته وعناصره التركيبية .. هناك العديد من " **المعاني** " و" **المفاهيم** " ذات الصلة و" **الباعث** " لتحقق المستهدف من تلك العلاقة التبادلية ، ذلك أن تناول علاقة استيفاء الجوانب الادراكية والحسية للإنسان " قاطن البيئة " ومردود ذلك على بناءها التشكيلي ـ عبر تغيرات الواقع الزمني والمكاني ـ دون اتخاذ دور " **دلائل المعاني المنبثقة عن تلك البيئة** " و" **طبيعة إدراك المستخدم لدلالاتها**" وكذا " **القيم الباعثة على تفسير تلك الدلالات** " وأيضا " **الثقافة السائدة** " كدالة لهذه القيم .. نقول أن إغفال تلك المعان جمعاء حال تقرير العلاقة بين إدراك الإنسان واستدامة البيئة من حوله من شانه أن يحول دون تحقق الايجابيات المرجوة ، باعتبار أن :

١. " **المعني** " .. مؤشر تقييمي حال تلاقى رؤى " المعماري " و" المستخدم " على كنه وحقيقة دلالاته .
٢. " الإدراك " .. وسيلة " تقييم " و" تقويم " لما ينظر من اعتبارات ؛ إزاء مايكفلة من " توحد فكرى " تعززه لغة حوار مشتركة .
٣. " **القيم** " .. دالة لكنه الاعتبارات ـ بداية ـ ومعيار " قياس " لمدى مصداقية تلك الاعتبارات من بعدها ، استنادا للدلائل المعيارية الحاكمة لتلك القيم .
٤. " **الثقافة** " .. باعث دائم لتغير الاعتبارات المنظورة بفعل متغيرات الواقع الزمني والمكاني .

٤-١ المعنى .. " مؤشر تقييمي " :

العمارة " دالة " لعديد من المعاني والإيحاءات .. إزاء ما تتضمنه صياغتها الفراغية ومكوناتها التشكيلية من قيم ، وما تمليه مفردات هذه الصياغة من دلائل ، تترتب عليها ردود أفعال مناسبة لهذه المعاني تتشكل لدى المستخدم ، تبدو في سلوكه ، وأسلوب استخدامه لفراغاتها ، وكذا حكمه عليها ،.. ذلك أن الإنسان يتفاعل مع عناصر العمل المعماري من خلال المعاني التي توحي بها إليه ، وبالرغم من أن هذه المعاني تكمن في ذهنه ، وليست في معطيات ذلك العمل ؛ الا أن ما يتضمنه من مفردات مادية هي التي توقظ هذه المعاني بداخله ، وبالتالي توجهه ، وتقنن ردود أفعاله ، وسلوكه ، ومن ثم خصائص استخدامه لتلك العناصر ، فلا يمكن استخدام البيئة المشيدة بصورة مناسبة دون إدراك المعاني التي تتضمنها معطياتها وعناصرها البنائية (Jenks C.1969).. وطبعي وإزاء ذلك أن ارتباط إدراك معطيات الإطار الفيزيقي للبيئة ـ باستيعاب معاني مفرداته ـ يجعل من المعنى احد المتغيرات الهامة في تفهم وإدراك والتعامل مع تلك المعطيات .

وإدراك الإنسان لعناصر ومفردات البيئة المحيطة ـ بشقيها المعماري الفيزيقي وذلك التشكيلي ـ ويعرف بـ " **عملية تكوين المعاني** " Process of Meaning Formation .. يتأتى في سياق ثلاث مستويات من المعاني: **"معاني مرئية"** Perceptual Meaning ، و**"معاني معرفية"** Associational Meaning ، و**"معاني تفاعلية"** Interaction Meaning .. اما " **المعاني المرئية** " Perceptual Meaning .. تتشكل كأول مستوى من المعاني ؛ بالتعرف على عناصر المحيط "Physical Context & Locational Attributes " بصريا ، أو باى مجموعة من الحواس ، ويتم تمثيلها في ذهن الإنسان على هيئة " مفهوم " أو " فكرة " ؛ تبعا لمجموعة المفاهيم المختزنة في ذهن الإنسان .. التكوين المتعارف عليه يسجل فى مجموعة " Category " الأشكال المطابقة ، أما غير ذلك والأكثر تعقيدا ـ أو تلك التي لم يسبق

رؤيتها ـ فتبقى في المستوى البصري دون أن تأخذ تسمية إلى أن يتم التعرف عليها .. واما **" المعاني المعرفية "** Associational Meaning .. وترتبط ببداية إدراك الذهن للرموز وتعرفه عليها ، اى ربط الأشياء المرئية ـ أشياء مادية أو أحداث أو سلوكيات ـ بأشياء أو أحداث أخرى ،.. وهكذا ، .. وتلك أهم الحقائق المرتبطة بمفاهيم الرمزية في العمارة ،.. والتي تتعدى في أهميتها المستوى المرئي ، فالكلمة في اللغة شكلها لا يمثل أهمية قياسا إلى دلالاتها ، مثلما تتعدى التشكيلات المعمارية في دلالاتها الرمزية ما يمكن أن تتصف به من خصائص وقياسات تشكيلية .. و**" المعاني التفاعلية "** Interaction Meaning .. وتلك نتاج تلاقى المعاني المرئية وتلك المعرفية في سياق تفاعل الإنسان مع العمل المعماري ـ فراغاته ومفرداته التشكيلية ـ وكذا معطيات البيئة بشقيها المعماري والتكميلي ، وتعد **" معيار تقييم "** و" دالة " لنجاح العمل المعماري أو الصياغة التكميلية لعناصر البيئة من حوله في استيفاء الجوانب المستهدفة منه ، واسترسال تلك المعان يدفع لمزيد من التلاقي الحسي والادراكى بين الإنسان وتلك المعطيات ، ولذلك مردوده الايجابي على جوانب الانتماء وبواعث الهوية لقاء البيئة نطاق تلك المعطيات .

بالتالي فان التعامل مع معطيات البيئة المشيدة ـ كبناء فيزيقي وصيغ تكميلية ـ يتطلب التعرف عليها من خلال فراغاتها المختلفة ، وأشكالها ، وألوانها ، وما يعنيه المعماري من صياغته لمجمل استخداماتها أو ما ترمز إليه تلك الاستخدامات ،.. فالرمز يرتبط بفكرة معينة ؛ ينبع منها " one to many correspondence " ، بالتالي يمكن للعناصر المعمارية أن تحمل معاني متعددة ومختلفة تبعا لدلائل استخدامها في زمن معين ، .. هذا بخلاف الإشارات ذات المعنى المباشر والمحدد ، لذا فالرمزية تجسد أسمى أشكال المعنى ، وتتطلب إعمال ذهني للتوصل إلى ما تعنيه ،.. وتتبدى هنا أهمية وخطورة هذا المستوى من المعاني ليشكل احد ابرز الصعوبات التي يواجهها المعماري لقاء ما قد يترتب على توقعه لرد فعل المستخدم تجاه البناء الدلالي للعمل التصميمي ؛ خاصة إن أهم ما يمثله هذا المستوى هو إمكانية التعرف على الاستخدام " Reference of Use " عن طريق الرموز.

شكل رقم (٤)الدلالات الرمزية للموروثات احد بواعث تشكل الهوية .

٤-٢ الإدراك .. " أداة توحد " :

الإدراك بوصفه عملية معرفية يتمثل في مدى فهم وإستيعاب موقفا حسيا ما في ظل خبرة معلوماتية مسبقة ، ويشتمل على أنشطة عديدة .. مثل الإحساس ، والانتباه ، وتكوين وتناول المعلومات ؛ فهو يعد نقطة " التقاء " الثقافة بالواقع ، وعملية وسطية سابقة على الاستجابات الحسية النهائية ، وهو أيضاً وسيلة الفرد للوعي بالبيئة المحيطة به ، من خلال تفسير وتنظيم المعلومات التي يحصل عليها عن طريق الحواس ، ويعتمد الإدراك على طبيعة المجال الحسي " نطاق الإدراك " من جانب ، وعلى طبيعة الإنسان " المدرك " ذاته من جانب آخر.

وتعامل الفرد مع الإطار المحيط يعد ترجمة لطبيعة إدراكه له وتفسيره لخصائصه ، وتتشكل إستجابات الفرد وردود أفعاله لعناصر الإطار والأشخاص المحيطين طبقا لإدراكه لهم ولنظرتهم إليه ، أى طبقا لعالمه المعرفي الخاص ؛ والذي يختلف عن غيره ، فخريطة العالم المعرفي لكل شخص تعتبر فردية ، تجسدها ثقافته ، وليس هناك إثنان يعيشان عالما معرفيا واحدا ، بالتالي فإن إدراك الفرد للمثيرات ترتبط بطبيعة وجهته الذهنية ، وعلى مدى ونوعية التنبيهات المدركة ، إضافة إلى ما تمليه الخبرة الادراكية للشخص المدرك عما يراه في نطاق الإدراك المتاح ، لذا فهو يعد " دالة " لكيفية اتخاذ الفرد قراراته لقاء مفردات الإطار المحيط وهو يرتبط بتلاقي صيغتين من الإدراك .. **"بصري"** " Visual Perception " .. يرتبط بادراك معطيات البيئة (من أصوات وألوان وضوء وحرارة وملمس و..) عن طريق خلايا أعصاب الاستقبال في الحواس الخمس بحيث تؤثر فيها فينتج الإحساس بالمؤثر" Sensation " و" **ذهني**" " Cognition Perception " .. يتضمن التعامل مع هذه المعلومات المستقبلة وتصنيفها وترشيحها ومضاهاتها مع المعلومات السابق تخزينها فى الذاكرة ، لذا فهو يضم وظائف التفكير والاستدعاء من الذاكرة طويلة المدى " Long Term Memory " لحصيلة التجارب المماثلة لنفس الأحاسيس أو إعطاء معاني لأحاسيس مستحدثة على الذاكرة .

وإدراك الفرد يبدأ بالاستجابات العصبية لنشاط أعضائه الحسية ، وفى نطاقها يتم تشفير المثيرات (الخصائص المميزة للمفردات) التي تستقبلها الحواس ، تم توصيلها إلى الجهاز العصبي المركزي ؛ وتمثل المدركات Percepts المعلومات الحسية المشفرة التي يتعامل معها الجهاز العصبي المركزي لحظة الإدراك ، وفى نطاق ذلك يمثل " الإحساس " الباعث الأول لعملية الإدراك ، يليه " التعرف " Recognition ، ثم " اختيار الاستجابة " Response Selection ؛ بالتالي فإن الاستجابة الادراكية ليست النتيجة الفورية لحالة الاستثارة ، لكنها نتاج مراحل أو عدة عمليات ؛ كل منها يأخذ وقتا معينا في

التكوين والتناول لتنظيم المعلومات أو تحويلها إلى صورة أخرى ، وعلى ذلك فإن " الإحساس " يستهدف استقبال المثير ، أما " الإدراك " فإنه يستهدف التفسير والتعرف على هذا المثير.. والاخير يعتمد على فروق بين المثيرات التي تستقبلها الحواس ، وتعكس الفروق طرق إدراك الفرد للمجال الادراكى الذي يحيطه ، تلك الطرق التي تميز الأفراد في تعاملهم مع الموضوعات المختلفة ، الأمر الذى يفسر التسلسل المضطرد والمتنامي لمتوالية التلوث البصري السلوكي حال تغيبة الفروق بين المدركات ، وتغلبة الترددات التقليدية في سياق هامشي ؛ تقل في إطاره قيمة المثير ، وتعلو قيمة التعبير الإرتجالى الشخصي والفردي ، فتتوحد عناصر المجال الادراكى ، وتتغيب قيمة الجمال والرقى الحسي ؛ نتيجة تلاشى خصوصية تلك العناصر .. وطبعي أن يستقبل كل عضو من الأعضاء الحسية شكلا معينا من مثيرات المجال الادراكى ، لذا تتنوع الأحاسيس وطرق الإدراك لذات الأفراد طبقا للتكيف بين العالم الداخلي والخارجي عندهم ، **و**ترتبط قدرات الإنسان الادراكية لمعطيات البيئة من حوله بشقين .. ، **"ذهني"** .. يتعلق بالإدراك " Perception " .. ويعتمد على الإدراك البصري والإدراك الذهني ، و**"سلوكي"** .. يتعلق بسلوك الإنسان الظاهر ونشاطه الفعلي تجاه معطيات وعناصر البيئة من حوله .

والتقاء جانبي الإدراك " **الذهني** " و" **السلوكي** " ـ إزاء ما يتوافر للفرد المدرك من معلومات ـ يؤدى إلى تكوين وتجميع صور ذهنية " Images " عن البيئة ،.. ومجموع هذه الصور الذهنية تشكل نظرتنا للعالم من حولنا فى مجموعة مؤثرات بصرية " تتضمن اللون ـ الملمس ـ الحجم ـ الشكل ـ ..." ، والإدراك " كمعنى " .. بهذه الطريقة يشمل الاعتماد على التجارب السابقة والذاكرة فى سياق اندماج عمليتي الإدراك الذهني والبصري ،.. بمعنى أن الإدراك لا يتضمن مجرد استيعاب المعلومة ؛ بل يتعدى ذلك إلى تناولها بطريقة فعالة ؛ تستخدم فيها الذاكرة ، بالتالي فان دور الإدراك والتأمل لا يتوقف عند التعرف على أبعاد وخصائص الشكل المادي ؛ لكنه يمتد ليشمل كيان وعقل المشاهد وأحاسيسه ، فالشعور بالرهبة والحزن لقاء الإدراك البصري لمبنى مقبرة أو السمعي للحن جنائزي لا يرتبطا بدلائل الصياغة لكليهما ـ فحسب ـ بل يمتد إلى تلك الذكريات التي قد توقظها بعض الرموز البيئية أو المكانية .. ولذلك دلالاته فيما يتعلق بأهمية المردود البيئي لصياغة عناصر المكان باعتباره داله لثقل موروثاته وثقافات قاطنيه .

٤-٣ القيم .. " دالة السلوك " :

و" القيمة " Value.. مفهوم " ضمني " مجرد ، يوضح للفرد ـ أو للوحدة الإجتماعية ـ الغايات والنهايات المرغوبة ، .. و" المفاهيم " المجردة للقيم عادة لا تكون نتيجة لتقييم الفرد ، وإنما نواتج إجتماعية ؛ فرضت نفسها عليه ، واكتسبها من خلال عملية التشرب أو الامتصاص أو الاستدخال ، أي أنه قبلها ، واستخدمها كمحك خاص به ، ويعرف كلوكهوهن (Klukhohn, 1992) " القيمة " .. بأنها " تصور أو إدراك واضح أو ضمني يميز للفرد أو للجماعة المرغوب فيه ، وهوالذي يؤثر في إنتقاء الطرق الممكنة والوسائل وغايات العقل " .. بالتالي فالقيمة عنده " مفهوم تجريدي لما هو مرغوب فيه ، ويؤثر على اختياراتنا بين عدة بدائل " ،.. والمرغوب فيه ـ هنا ـ يعنى ما يجب أن يكون حسب ثقافة الجماعة التي ينشأ فيها الإنسان ، ويقول سميث(Smith, 1994) : " أن كل إختيار أو عمل أو حكم يستند إلى قيمة معينة لدى الفرد ، وأن الزعم بعلم متحرر من القيمة سعيا وراء الموضوعية من شأنه أن يعوق تقدم العلم ذاته " ، ويوسع لوري نلسن (Nelson, 1990) مفهوم القيمة ويحددها بشكل إجرائي قابل للدراسة والقياس ؛ ويرى أنها تتضمن أربعة جوانب أساسية :

١. الأهداف التي يسعى أعضاء المجتمع لتحقيقها .
٢. الوسائل المشروعة المتفق عليها لبلوغ تلك الأهداف .
٣. نظام الجزاءات الذي يكفل إحترام الأهداف والوسائل الموصلة إليها .
٤. التنظيم بين الأهداف والوسائل والجزاءات بما يتحقق التوازن بينها جميعا .

وطبعي إن التعددية الثقافية تدفع إلى إختلاف الأهداف لدى أعضاء المجتمع ، وان عدم توظيفها ـ بالقدر الذي يضمن نوع من التلاقي ـ يسهم في تغيبة الوسائل المشروعة لتحقيقها ، ويدفع بتورية نظام الجزاءات الذي يضمن مشروعية تلك الوسائل ، ليتأكد في النهاية الخلل بين " الأهداف " و" وسائل التنفيذ " المتاحة و" الجزاءات " كأداة لضمان التوازن ، ونتاج ذلك ـ بلا جدال ـ صيغ متعددة للتلوث الادراكى " الحسي والبصري " والسلوكي ؛ كانعكاس لعدم التلاقي " القيمى " وتغيبة التوحد الفكري والثقافي ، وغيبة التشريعات التي تنظم علاقات الأفراد في ظل خفوت " القيمة " المستهدفة .

شكل رقم (٥) العمارة " دالة " لعديد من المعاني والإيحاءات .. إزاء ما تتضمنه صياغتها الفراغية التشكيلية من قيم موروثة ومستحدثة .

ويرى هيمان وفالينسين "Heiman and Valanstein, 1992 " أن : " الدوافع السلوكية للفعل الإجتماعى ترتبط بأساليب التنشئة وتربية الإنسان ومعطيات البيئة من حوله ؛ خاصة في حياته الأولى ؛ وما صادفه ـ فيها وازائها ـ من إحباطات ومخاوف وكبت ؛ يترتب عليها نوع من العدوانية نحو الآخر" ، بمعنى أن " السلوك العدواني " و" المخالفة " تصبح جزءا من تكوين " الأنا " التي تخدم هدف " التكيف " ، وقد يكون دافع المخالفة ناشئا عن الإحباط في مواجهة ما يمليه واقع الحياة من حول الإنسان ، ودراسات علم الإجتماع تؤكد أن " الظروف الإجتماعية " و" العوامل الخارجية المحيطة " بالإنسان تكون سابقة " لأي مخالفات " أو " فعل غير سوى " ينبثق عن الخصائص الإجتماعية ومكونات البيئة ويفسر ذلك كون الخلل في خصائص " البناء التشكيلي " و" الصيغ التعبيرية " لعناصر العمران ـ بعامة ـ ولعمارة المسكن ـ بخاصة ـ يعد احد ابرز المشكلات البيئية التي من شانها الحيلولة دون " استدامة " تلك العناصر ؛ إزاء ما يترتب عليها من جوانب قصور تمس التوازن البيئي الحسي ، وما قد يستتبعه من تغير لحق بعديد من قيم ومفاهيم الانتماء التي تحكم علاقة الفرد والجماعة بالمحيط البيئي .. باعتبار أن جوانب الخلل المشار إليها تشكل حاجزا بين تكيف الفرد مع ما حوله ؛ يدفع به تجاه نوع من العزلة والتقوقع ومن ثم الفردية ؛ لتتبدد ـ آنذاك ـ أوجه التلاقي المستهدفة بين معطيات البيئة وفاعليات قاطنيها .

٤ ٤ الثقافة .. " باعث لتغير الاعتبارات " :

العمارة " دالة " لثقافة الزمان ، و" نتاج " لمعطيات البيئة المكانية ، .. والتناول التحليلي لدور معطيات الواقع الثقافى المعاصر ـ بما يتضمنه من متغيرات ـ في تقرير ما استحدث فكريا لقاء المسكن وعناصره على اختلاف صوره وفلسفاته البنائية ، ومردود ذلك على " كنه الاعتبارات الإنسانية " المستحدثة .. استحداث الثقافة والواجب مراعاتها حال الصياغة التصميمية لتلك الصور ، .. وكذا انعكاسات ذلك على بيئة المسكن ـ مجمله ـ يتطلب التعرف على عديد من المفاهيم ذات الصلة بالثقافة " كمعنى " من جانب ، و" كدالة " للسلوك ، و" باعث " للنتاج الانسانى من جانب أخر،.. ضمن تلك المفاهيم تبرز اهمية :

" التقاطع الثقافي .. الاتصال الثقافي .. التفاعل الثقافي .. الصراع ثقافى.. الامتصاص الثقافي "

بداية فان مفهوم " تقاطع ثقافي Cross Cultural " كان قد بدا كأحد المفاهيم الأساسية في فلسفة التاريخ عند " فيكو " الإيطالي ؛ إزاء استخدامه إياه بهدف تمييز نقاط الالتقاء بين ثقافتين " أو أكثر " ، حيث تتفاعل الثقافات بالتناقض أو بالاتفاق ؛ لينتهي الأمر إلى احتمالين أساسيين :

- ذوبان إحدى الثقافتين في الأخرى ، غير أن ذلك لا ينفى إمكانية تغير أكثرهما ثقلا ؛ إزاء استيعابها لمفاهيم الثقافة الأخرى ، وكنتاج لما يعرف بـ " الاتصال " آو" الامتصاص " أو " الانتشـــارالثقافي" .
- تغيرهما معا ، ونشؤ ثقافة جديدة ، تستمد جذورها من كلا الثقافتين " أو الأكثر " ، وتدفع بها معطيات الواقع تجاه ما يستجد عليها من تطورات .

بيد أن " التقاطع الثقافي " كان قد انتقل من فلسفة التاريخ إلى علم تاريخ الثقافة ؛ حيث تطور المفهوم وتطبيقاته تجاه دراسة تفريعاته المتعلقة بعلوم اللغة والتصورات الكلية المميزة لكل ثقافة : فيما يختص بالدين ، واللغة ، والأسرة ، والمؤسسات الاجتماعية ، والتقاليد ، والأنماط المميزة للمثل العليا ، وتقاليد العمل ، والإبداع الفني ، والتكنولوجي ، وكذا السلوك اليومي ، .. غير أنه من الثابت أن " التقاطع الثقافي " نتاج " لاتصال ثقافي أو تثاقف " ، ومدعاه " لتفاعل ثقافي " ، يتضمن " امتصاص " ثقافة ما لبعض القيم الثقافية المميزة لثقافة أخرى ، أو انه يؤول إلى ما يعرف بـ " الصراع الثقافي " .

و" الاتصال الثقافي " Culture Contact أو " التثاقف " .. نظرية قديمة كان قد صاغها البريطانى " فورتيس " فى نهاية الثلث الاول من القرن الماضى ، تقوم على القول : " بان الثقافات القوية تنتشر، وتتمثلها الثقافات الاخرى الاضعف ؛ بسبب عديد من صور التفوق والنفوذ " .. بمعنى أن الثقافة الأقوى تبدو " كوعاء " تنصهر فيه الثقافات الاقل تاثيرا ، ويدفع ذلك لنوع من "التفاعل الثقافي" ، .. ويعنى نوع من التبادل بين الثقافات ؛ ازاء التداخل ، او الامتزاج بين مجتمعين ، او جماعتين ، او اكثر ينتميان لثقافات مختلفة .. تمتلك كل منها تراثا ثقافيا متمايزا ، وكان "دي فوس" أول من تعرض لذلك المصطلح فى كتابه " الاستجابة للغير.. المجتمع والثقافة والشخصية١٩٧٦م" ، وتعرض فيه لتبنى كل من المجتمع " المستقبل " ونظيره " المهاجر" ثقافة الأخر بالمدلول الشامل للثقافة ؛.. وتجسده اللغة ، والدين ، وطرائق الحياة ، والسلوك ، والقيم الخلقية ، والعمل .. الى غير ذلك ، من خلال بدء كل منهما فى تعلم ما يتقبله ـ وما يحتاج إليه ـ من ثقافة الأخر .. ، و الثابت أن نظرية " التفاعل الثقافى " لم تتطور الا بظهور اعمال " مالينوفسكى " و" فورتس " فى بريطانيا ؛ خلال اربعينيات القرن الماضى ، و" ريدفيلد " و" لينتون " فى امريكا ، خلال خمسينيات نفس القرن ، والتى ادت الى النظر الى الثقافة كوظيفة او نظام أو نسق محكوم ؛ وليست مجرد تجمع لخصائص وأنشطة منفصلة .

وعملية التفاعل قد تؤدى إلى ما يعرف بـ " الصراع الثقافي " ؛ بين قيم وأساليب عتيقة وأصيلة وبين أخرى مكتسبة جديدة ؛ تتطلب تقرير إجتماعى ومنهجي لجدواها .

بيد أن عملية " التفاعل الثقافى " ومن وجهة نظر الجماعة الناقلة للقيم تتضمن انتشار القيم الاكثر صلاحية لمواجهة الحياة ، وتلبية احتياجاتها ـ في مرحلة تطورما أووضع تاريخي بعينه ـ بما تتطلبه عملية النقل من تعديلات فى بنيتها ، وسلوكياتها ،

وقوانينها ؛ طبقا لتغير الظروف المحيطة ، وهى فى ذلك تؤدى الى تعميق الاقتباس ، والنقل ، كاساس لتاصيل الخصائص الثقافية .

وتتضمن عملية التفاعل صورا لما يعرف بـ " الامتصاص الثقافى " Assimilation .. ويعنى عند " التقليديين " .. ذوبان " ثقافة " العناصر المهاجرة " في البناء الثقافي " لمجتمع مستقر تدريجيا ،.. وتلك كانت نظرة الأمريكيين ـ تحديدا ـ وميلهم الفكري لتفسير خصائص المجتمع الامريكى " الحلم " المستهدف ؛ حال نجاحه فى تخطى مشاكل المهجرين اليه والمتعلقة بوحدة المجتمع ككل ،.. على أن البحث التجريبي المعاصر ـ على مجتمعات حديثة او تاريخية ـ كان قد اثبت صحة ماسجله العرب الاوائل فى تأريخهم للمردود الثقافى للفتوحات الاسلامية ؛ من كون عملية الامتزاج تحتمل التلاقى بين ثقافتين ، مثلما حدث فى : عطاء العرب اللغة والدين الجديد ـ او احدهما ـ للاقطار التى افتتحوها ، واخذوهم لانماط الحياه ، والعمل ، والمعيشة ، واساليب التفكير ،.. وقد أكدت دراسات علم الاجتماع المعاصر ذلك ايضا ، ازاء تحليلها " العضوي والبنيوى " لتلك المجتمعات .. ومالت اليه ؛ وثبت ان كلا المجتمعين المستقبل والمهاجر يتغيران على مراحل تدريجية ، .. ورأت " شيليا باترسون " ـ وكما عرضت لذلك فى كتاب " الغرباء السمر ١٩٦٤" ـ ان مرحلة " التكيف المزدوج " تسبق " الامتصاص " ، حيث يتقبل المجتمع المستقبل والمهجرون اليه فى البداية " المميزات والمزايا " الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والنفسية ، واللغوية لكل منهما قبل ـ واثناء ـ شروع كل منهما فى استيعابها ، ثم تبادلها .

شكل رقم (٦) العلاقة التبادلية بين استدامة البيئة والمردود التشكيلي لصياغة عناصرها وثيقة الصلة بالثقافة والإدراك والمعنى ومن قبلها القيم .

والعلاقة التبادلية بين عمارة المسكن وثقافة قاطنيه مدعاه لطرح عديد من التساؤلات والجدل الفكرى ، .. حول جدوى ما تؤول إليه معايير صياغة المسكن الملائم ـ وظيفيا وتعبيريا ـ بما يتفق ومستهدفات استدامته البيئية المحيطة .. ؟ ، خاصة في سياق التناول الموضوعى لثقل الذات والعلاقة مع الاخر ، وما تمليه فرضيات الواقع الثقافى المعاصر .. ذلك ان الاعتبارات الانسانية ليست قيدا على مسوغات البيئة الطبيعية دون غيرها ، باعتبار ان حراك الانسان الاجتماعى لابد وان يتضمن تغير فى بنائه الفكرى والثقافى ،.. ويؤكد ذلك جدوى الصياغة المرنة للمحتوى الوظيفى النفعى والتعبيرى الاستاطيقى تجاه استيفاء معطيات الواقع دائمة التغير من جانب ، واهمية تحديث المعايير والاعتبارات زمنيا ومكانيا من جانب اخر .

٥- نتائج الورقـــة:

في سياق تناول الورقة البحثية التحليلي لماهية الاعتبارات الانسانية الواجب مراعتها حال التناول التصميمى لعمارة المسكن وما يكفله استيفائها من استدامة لاطره التشكيلية ازاء ملائمة تلك الاطر المرنة لمتغيرات الواقع الثقافى المحيط ، يمكن استخلاص النتائج التالية :

١. أهمية تحديث ومراجعة " **المعايير والاعتبارات الإنسانية** " اللازمة لصياغة عناصر المسكن الوظيفية والتعبيرية زمنيا ومكانيا ؛ بهدف استيفاء مردود متغيرات الواقع الثقافي والتقني ، وماقد يترتب عليهما من دلائل لتغيرات اجتماعية .
٢. " **المتطلبات الحسية والادراكية** " لمستخدمى الفراغ السكنى احد اهم الاعتبارات الانسانية الواجب مراعاتها حال الصياغة التعبيرية لعناصره الوظيفية .
٣. " **الصياغة المرنة للمحتوى الوظيفي والتعبيري** " لعمارة المسكن أهم أولويات استيفاء معطيات الواقع المكاني والزمني " دائمة التغير " .
٤. " **القيم المعيارية السائدة** " و" **معاني مفردات التعبير** " و" **خصائص الإدراك المتعارف عليها** " و" **الثقافة المتاحة عبر متغيرات المكان ومعطيات الواقع الزمني**" .. تعد ابرز العوامل المؤثرة على العلاقة التبادلية بين استدامة عمارة المسكن والمردود البيئي لصياغته بشقيها الوظيفي والتعبيري .
٥. " **استدامة عمارة المسكن** " تتطلب ضرورة متابعة وادراج المتغيرات الثقافية والفكرية ضمن الاعتبارات الإنسانية لصياغة المسكن الوظيفية والتشكيلية .

٦- التوصـــــيات :

وإزاء ما سبق تناوله من مفاهيم ودلالات وتقريرلكنه العلاقة التبادلية بين " الاعتبارات الانسانية " و" استدامة المسكن " ودور تلك العلاقة فى تحديد " ملامح المردود البيئى " لصياغته التشكيلية ،وماترتب على ذلك مجملا من نتائج خلصت الورقة البحثية الى مجموعة التوصيات التالية :

١. تكليف الأحياء وأجهزة التخطيط مشاركة مع المراكز البحثية المتخصصة بإعادة دراسة الاشتراطات الخاصة بمشروعات الإسكان بشقيها التخطيطى والمعمارى تجاه استيفاء الاعتبارات الإنسانية التى تمليها خصوصية الواقع البيئي المحلى .
٢. ضرورة تكليف الأحياء وأجهزة التخطيط ومراكز التنمية بإعادة دراسة اللوائح المنظمة لحركة العمران بمختلف المناطق والأرجاء الحضرية تجاه استيفاء أوجه القصور المتعلقة بالجوانب الحسية والادراكية لقاطني تلك الأرجاء ؛ كبداية لتحديد مايلى :
   - ضوابط المعالجات التشكيلية لواجهات عناصر العمران بمختلف والأرجاء الحضرية .
   - نسب الفراغات الخارجية والداخلية لعناصر العمران كأساس للحفاظ على الهوية الفراغية لكل منطقة حضرية وفقا لما تتضمنه من قيم وثوابت .
   - نوعيات المواد والخامات و الألوان الملائمة لمسُتهدفات التنمية الحضرية بتلك المناطق .
٣. ضرورة تكليف مراكز البحوث السكانية بدراسة حركة السكان الترددية عبر مختلف المناطق الحضرية والمردود الثقافى لتلك الحركة وما تتطلبه من تقرير لأوجه التغير المحتملة في القيم والاعتبارات الإنسانية .
٤. ضرورة تكليف مراكز البحوث والأجهزة المعنية بوزارتي الثقافة والأعلام بالدراسة الدورية لأوجه التغيرفى خصائص البني الثقافية بمختلف المناطق الحضرية ومردود ذلك التغير على عمارة المسكن.
٥. تكليف وسائل الإعلام بتكثيف حملات التوعية الثقافية باهمية المردود البيئى لصياغة المسكن ومفردات بنائه التشكيلية ودورها فى تعزيز جوانب الصحة النفسية للانسان ولذلك مردوده الايجابي على استدامته .

٧- المراجـــع العلمية :

١. إبراهيم ، محمد ، جبر(ابريل ٢٠٠٣م) : " المردود التسويقي كنتاج لمعايير الصياغة التصميمية والتكميلية بالنسيج العمراني .. دراسة لإشكالية ازدواجية الحيز والبيئة " المؤتمر العلمي الهندسي السابع ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، مصر.
٢. بدران ، راسم (١٤١٨ه-١٩٩٨م) " العمارة والتحيز "، إصدار بعنوان : " إشكالية التحيز.. رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد " رقم (٩) الطبعة الثالثة ، ص١٢٥/١٤٠، المحور الثالث " الفن والعمارة " ، سلسلة المنهجية الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الاسلامى، القاهرة ، مصر .
٣. عبد الرحمن ، ايمان ، النشار(ابريل ، ٢٠٠١م) " العلاقة التبادلية بين الانسان والبيئة .. مدخل متعدد الابعاد لدراسات وممارسات التصميم " المؤتمر العلمى الثالث ،" رسالة الفنون الجميلة فى عالم بلا حدود " كلية الفنون الجميلة.
٤. إبراهيم ، عبد الحليم (١٤١٨ه-١٩٩٨م) " مواجهة مع مفاهيم التحيز فى الفراغ المعمارى .. من الحوض المرصود إلى ميدان الراجستان " ، إصدار بعنوان : " إشكالية التحيز.. رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد " رقم (٩) الطبعة الثالثة ، ص١٤١/١٨٢، المحور الثالث " الفن والعمارة " ، سلسلة المنهجية الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الاسلامى، القاهرة ، مصر .
٥. أبو سعدة ، هشام (٢٣/٢٦رجب ١٤١٦ه ، ١٦/١٩ ديسمبر١٩٩٥م) " القيم الإنسانية الغائبة في عمران المدينة الجديدة – التجربة العربية " ، المؤتمرالهندسي العلمي الدولي الرابع ، كلية الهندسة ، جامعة الأزهر، مصر .
٦. اكبر ، جميل ، عبد القادر (١٤١٢هـ) "عمارة الأرض في الإسلام " ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، المملكة العربية السعودية.
٧. الجاد رجي ، رفعة (١٩٩٨م) " العمارة والحاجة إلى تنظير بنيوى " ، سلسلة عالم الفكر، المجلد السابع والعشرون ، العدد الثاني ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، الكويت .
٨. الجاد رجي ، رفعة (يناير ٢٠٠٠م) " العمارة المقدسة " مجلة المستقبل العربي ـ العدد رقم ٢٥١ ، ص ٣٠/٣٩، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان .
٩. الصديق ، يوسف (١٩٨٠م) " المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة " ، الطبعة الثانية ، الدار العربية للكتاب ، تونس العاصمة ، تونس .
١٠. الهزلول ، صالح ، بن على (١٩٩٤م/١٤١٤ه) " المدينة العربية الإسلامية .. اثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية " ، الطبعة الأولى ، دار السهن ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
١١. اللغة العربية، مجمع (طبعة ١٩٩٧م) " المعجم الوجيز " القاهرة ، مصر.
١٢. جوناثان كللر ، (٢٠٠٠م) " فرديناند دوسوسير.. تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات " ، ترجمة وتقديم : محمود حمدي عبد الغنى ، مراجعة محمود فهمي حجازي ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة، إصدار رقم ٢١١ ، القاهرة ، مصر.

١٣. حسن ، أحمد (نوفمبر، ١٩٩٩م) "الاغتراب والحداثة .. الضجيج وضياع الألفة " ، مجلة العصور الحديثة ، ص ٦٥-٦٦ ، القاهرة ، مصر.
١٤. خشبة ، سامي (١٩٩٤م) " مصطلحات فكرية " الطبعة الأولى ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، مصر .
١٥. زكى ، محمود (٢٨/٢٦مارس٢٠٠٢م) ، " المدخل الإنساني والإجتماعي لصياغة وتشكيل البيئة " ، المؤتمر الدولي للتنمية البيئية في الوطن العربي، أسيوط ، مصر.
١٦. فتحي ، حسن (٢٠٠٢م) " عمارة الفقراء " ، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي ، الطبعة الخامسة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر.

17. Salama, Ashraf: "Human Factors in Environmental Design, An Introductory Approach to Architecture", The Anglo - Egyptian bookshop, 1998.
18. Robert Hillenbrand " Islamic Architecture : Form Function & Meaning " – Edinburgh University, Press 1994 .
19. Altman, I. & Chimers, M., (1980), "Culture and Environment". New York, NY: Cambridge University Press.
20. Amos, R., (1969), "House Form and Culture ", Printing Hall, Ine, Englewood Cliffs, N.J., U.S.A.
21. Jenks C. (1969)," Meaning in Architecture" (Ed), Barrie & Rockford, London.
22. Klukhon, O.P: "Value Orientation, Towards A General theory of action, Parsons and Skills" (Ends) Harvard University Cambridge, Mass, 1992.
23. Merton, R.K, "Social theory and social structure". The free press, U.S.A. 1991.
24. Nelson, L: "Community Structure and change". N.Y. Mac Mill 1990.
25. Popper K.(1968), "Towards a Rational Theory of Tradition", in his Conjectures and Refutations , the Growth of Scientific Knowledge, New York ,Harper and Row.
26. Robert Hillenbrand " Islamic Architecture : Form Function & Meaning " – Edinburgh University, Press 1994 .